

المصدر: الخليج

التاريخ: ٣ مارس ٢٠٠٣

## العراق وأمريكا.. «حرب عادلة» أم عدوان غادر؟

ليست سوى حرب دفاعية بكل معنى الكلمة، وليست حرباً هجومية أو حرباً استباقية كالتي ورد ذكرها في وثيقة الأمن الأمريكي الأخيرة. بهدف السيطرة على الآخرين ومواردهم، كما هو الحال في العدوان الأمريكي المرتقب على العراق.

ورغم وضوح المعنى الذي تحدث عنه أوغسطس وغيره من الفلاسفة القدامى والمحدثين معاً حول العلاقة بين العدل وبين التطور الاضطرابي في حرب، وربط ذلك بحماية المدنيين ومنع العدوان عنهم أو حمايتهم من أن يقعوا تحت حكم قوة خارجية شريرة، فإن التاريخ الأمريكي يزخر بالكثير من إعادة التأويل وبما يسمح بلي المفاهيم الواضحة وضوح الشمس، لكي تقدم تبريراً للهجوم على الآخرين، تحت غطاء ظاهري وغير مقنع، ولكنه يوفر مسحة من الأخلاق والدور التبشيري الذي يوازن سمة العدل، وأحد أكبر الأمثلة هنا والتي تدرس كدليل صارخ على إساءة توظيف المفاهيم إساءة بالغة، ما أقدم عليه الرئيس هاري ترومان في الأيام الأخيرة للحرب العالمية الثانية، حين قرر استخدام القنبلة النووية ضد اليابان في السادس من أغسطس/ آب 1945. كان التبرير الذي قدمه الرئيس ترومان يقوم على إعادة تشكيل علاقة بين أمرين لم يكن لهما وجود في الواقع آنذاك، حيث اعتبر التضحية بعدة مئات من المدنيين اليابانيين ضرورة لحماية حياة آلاف آخرين، في مقدمتهم حياة الجنود الأمريكيين الذين

مع اقتراب مسعود العدوان الأمريكي على العراق، وفي مواجهة الانتقادات المتزايدة للحرب من قبل مؤسسات مدنية ودينية عبر العالم كله، يجد الرئيس بوش نفسه مضطراً لسوق تبريرات ذات طابع أخلاقي وإنساني لخوض مثل هذا العدوان الغاشم، معتبراً أن الحرب التي ستخوضها بلاده في العراق هي «حرب عادلة، ولها أسباب عادلة، وسوف تخوضها القوات الأمريكية بوسائل عادلة». وليس بخافٍ على أحد أن العدل يمثل قيمة كبرى في حياة البشرية، والوصول إليه أو تحقيقه ليس أمراً هيناً أو سهلاً المنال، كما هو الحال عند الحديث عن القيم الإنسانية في ظل عالم يتسم بالجشع ويبيع لنفسه حقوق الآخرين.

ومنذ الأزمان الأولى التي عرفت فيها البشرية طريقة تنظيم حياتها ورصد تطورها الذاتي، حمل المفكرون والفلاسفة مهمة تحديد منظومة القيم التي يجب أن تتحلى بها البشرية تدعيماً لإنسانيتها وسموها الأخلاقي. ولم تخرج الحرب عن تلك المهمة الفلسفية والدينية، الأمر الذي قاد إلى التفرقة بين مستويات عدة للحرب، ومن بينها الحرب العادلة التي جاء ذكرها في العمل الفلسفي الكبير للقديس أوغسطس في القرن الخامس بعنوان «مدينة الله»، والتي تحددت باعتبارها الحرب التي تنورط فيها المجتمعات اضطراباً للدفاع عن نفسها، ولحماية كل ما يرتبط بوجودها مادياً وروحياً في مواجهة هجوم غادر يأتي من قوى شريرة. والحرب العادلة بهذا المعنى

هذه الدراسات الرصينة بما فيها التي خرجت تحت رعاية الجيش الأمريكي نفسه، لم يظهر أبداً أي أثر لموضوع حماية المدنيين أو الغالبية منهم، ولم يظهر أيضاً أن الرئيس هاري ترومان كان في حسابه أي وزن لحياة آلاف اليابانيين الذين سيلقون حتفهم فوراً من جراء استخدام سلاح للتدمير الشامل، وكان الجيش الأمريكي قد قام بعمل دراسة ميدانية حول تأثير القنبلة النووية على المباني والبشر وكافة الأحياء كما حدث في هيروشيما، وذلك في أكتوبر/ تشرين الأول 1945، ولم تظهر نتائج هذه الدراسة حتى اللحظة.

هذا المثل التاريخي يقدم صورة للطريقة التي تجرى بها قرارات الحرب في الولايات المتحدة، وهو لا يختلف من حيث مضمونه وأهدافه وطريقة إدارته عن تلك الطريقة التي تدير بها واشنطن الآن حربها المرتقبة ضد العراق. لاسيما إذا ربطنا ذلك بمفهوم الحرب العادلة الذي استخدمه بوش نفسه عدة مرات في الأيام القليلة الماضية، معتبراً أن حربه من أجل حماية من يتبقى من المدنيين العراقيين بعد تحريرهم من حكم ديكتاتوري بغيض، والبارز هنا محاولة ربط العدل بالحرية واعتبارهما مبررين كافيين ومبررين للضمير الأمريكي، من أجل خوض حرب ضروس يلقي فيها عدة آلاف من الأبرياء العراقيين حتفهم، كضريبة صغيرة من أجل تحرير بلادهم، أو بالأحرى من أجل أن يقعوا تحت حكم استعماري جديد تقوده

تقرر أن يقوموا باحتلال اليابان آنذاك. وهو تبرير ثبت زيفه، فاليابان كانت على وشك التسليم، ولم يكن هناك أية ضرورة لاستخدام هذا السلاح الفتاك والمدمر. وحسب الدراسات التاريخية الرصينة، توافرت عدة أسباب وراء قرار استخدام القنبلة النووية، ولم يكن من بينها التبرير المعلن حول حماية العدد الأكبر من المدنيين من خلال التضحية بعدة آلاف منهم. ومن أهم وأكثر العوامل وراء استخدام الولايات المتحدة القنبلة النووية في هيروشيما ونجازاكي رغبة المجتمع الياباني الصناعي الأمريكي في تجريب الأسلحة النووية بصورة عملية وعلى الأرض، وثانيها منع تقدم القوات السوفييتية آنذاك والتي قيل إنها كانت على وشك احتلال شمال اليابان، وثالثها احتلال اليابان بأقل تكلفة بعد هزيمتها بصورة ساحقة.

ووفقاً للدراسات التي صدرت لاحقاً والمعلومات التي خرجت من أروقة الجيش الأمريكي نفسه، تبين أن اختيار هيروشيما ونجازاكي لم يكن اختياراً عشوائياً، فهيروشيما تُخديداً كانت مقراً للجيش الياباني الخامس، والتي تجمعت فيها بقايا القطاعات العسكرية اليابانية الأخرى بعد انسحابها من مواقعها الحربية، كما أن بها العديد من المصانع المدنية والحربية، وثالثاً أنها محاطة بعدد من الجبال التي يمكن أن تقوم بعمل سياج طبيعي يحصر تأثير القنبلة النووية في محيط جغرافي ضيق نسبياً. ومن

مهاجمة الاعداء المفترضين. إضافة إلى تلك التلميحات والتصريحات الكثيرة التي صدرت بالفعل عن مسؤولين أمريكيين باحتمال استخدام أنواع من القنابل النووية التكتيكية ضد العراق إذا ما استخدم ما يعتبرونه أسلحة دمار شامل، فلعل هيروشيما هنا يمكن أن توضح ماذا يريد الأمريكيون بالعراق وبالمنطقة من تخريب وتدمير على أوسع نطاق.

وفي المتحف التذكاري الشهير المعروف باسم متحف هيروشيما التذكاري للسلام، والذي زاره كاتب هذا المقال قبل عدة أيام بدعوة خاصة من وزارة الخارجية اليابانية، تتضح معالم زيف المبررات الأمريكية، وتتضح أكثر معالم الجريمة الكبرى التي لحقت بأهل هذه المدينة قبل أكثر من نصف قرن. فالصور، حتى تلك التي أفرج عنها الجيش الأمريكي قبل عقد واحد فقط وسمح بعرضها علنا، تظهر دمارا هائلا في كل المدينة طولا وعرضا، إضافة إلى أناس لم يبق منهم سوى رماد أو أجساد مشوهة، ومجرد قطع آدمية محروقة لم يعرف أصحابها. وروايات الذين قدر لهم البقاء لوجودهم على مسافات بعيدة نسبيا من مركز الانفجار مليئة بقصص الخوف والرعب والألم والمعاناة من الأمراض الخبيثة طوال تلك السنوات الماضية.

هيروشيما الوادعة بأهلها والجميلة بمناظرها الطبيعية الخلابة والمحاصرة بعدد من الجبال الشاهقة التي تتضمن بدورها عددا من المعابد الشهيرة



د. حسن أبو طالب

”

أحد أكبر الأمثلة هنا والتي  
تبرهن كبريل صبارخ على  
إساءة توظيف المفاهيم  
إساءة بالغة، ما أقدم عليه  
الرئيس هاري ترومان حين  
قرر استخدام القنبلة  
النووية ضد اليابان

“

الولايات المتحدة، وسيكون الأول من نوعه في الألفية الثالثة. لا يكتفي بوش وأركان إدارته بأن يخوضوا حربا عادلة، بل أيضا جالبة للحرية على طريقتهم الخاصة. لكن هؤلاء الأبرياء الذين سيموتون أو سيجدون الصعوبات الجمة أو سيضطرون إلى مغادرة بلدهم إلى حيث المجهول لا محل لهم في حسابات الحرب العادلة على الطريقة الأمريكية. وبما أن استراتيجيات الأمن القومي الأمريكي الجديدة تسمح باستخدام القنابل النووية في

وصل عدد الموتى إلى 180 ألف ياباني. أما الأحياء الذين بقوا وحملوا معهم أمراضاً خطيرة نتيجة التعرض للإشعاعات النووية فقد قدروا بـ 70 ألف ضحية. أما المدينة نفسها فقد تحولت إلى رماد ولم يبق منها سوى أطلال من مبنى يتيم يظل شاهداً على جريمة كبرى لم تسبقها أي جريمة في التاريخ الإنساني كله. ويذكر أن حجم الانفجار لقنبلة هيروشيما يعادل 20 ألف طن من مادة «تي إن تي» شديدة الانفجار. وهي من نوع بدائي لا تجوز مقارنته بتلك الأنواع الحديثة التي يمتلكها الأمريكيون الآن في ترساناتهم النووية الحديثة، والذين يرغبون في تجربتها على الأرض، جنباً إلى جنب مع أسلحة حديثة أخرى تتسم بشدة التدمير واتساع مدى الإصابات ودقتها معاً. فهل يريد الأمريكيون أن يجعلوا من بغداد والمدن العراقية العربية هيروشيما أخرى؟

ولعل أكبر نصيحة يمكن أن يقدمها المرء لهؤلاء الذين يقفون بصلاية أمام الحرب كوسيلة إجرامية لحل النزاعات السياسية، أن يدفعوا الرئيس بوش دفعا لزيارة هذا المتحف التذكاري، لعله يرى بأم عينيه ماذا فعل رئيس أمريكي سابق قبل أكثر من نصف قرن بأناس أبرياء من تخريب وتدمير وقتل وحرق، ولعله يقتنع بأن الحرب التي سيقوم بها ضد العراق لا علاقة لها بالعدل بأي صورة، وأنها ليست سوى عدوان غاشم، وجريمة لا إنسانية بكل المقاييس.

تحولت إلى رماد في غضون ثوان معدودة بعد إلقاء أول قنبلة نووية في التاريخ، وهي القنبلة التي أطلق عليها اليابانيون «بيكا» دون، حيث يشير لفظ «بيكا» إلى الضوء شديد اللمعان، أما «دون» فيعني الدوي الهائل، في حين يسميها الأمريكيون «النولد الصغير». ومع كل ذلك الخراب والمعاناة المعروفة مسبقاً لم يجد الرئيس هاري ترومان أنذاك أي حرج في إنكار كل مستويات المسؤولية الأخلاقية تجاه هؤلاء الآلاف، والذين ماتوا أو حرقوا أو أصيبوا بكل الأمراض الخبيثة نتيجة التعرض للإشعاعات النووية. فبعد 43 ثانية من انفجار القنبلة على ارتفاع 580 متراً من سطح الأرض، تولدت حرارة عالية قدرت بخمسين مليون درجة مئوية، نتج عنها كرة من النار على ارتفاع هائل، والتي تأخذ شكلاً أشبه بنبات الفطر، ولدت بدورها موجات من الصدمات الهوائية الساخنة جداً غطت في أقل من ثانية واحدة محيطاً دائرياً نصف قطره 3 أميال، نتج عنها ضغطاً هائلاً وصل إلى 280 متراً مكعباً على كل سنتيمتر واحد، ولم تترك شيئاً يذكر سوى الرماد المحروق والملوث بالأشعة النووية المميتة. وفي حوالي دقيقة أخرى كانت موجات ذات درجات ضغط أقل قد وصلت إلى دائرة قطرها 50 كم مسببة حرائق ودماراً مختلف الدرجات والحدة.

ونتيجة لدرجات الحرارة العالية التي تولدت عن الانفجار النووي مات 120 ألف ياباني في الحال، وحتى نهاية العام 1945